الخلاصة الاتجاه الواقعي في قصص حامد إسماعيل الهيتي

أ.د. علي إبراهيم محمد
جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الإنسانية

الباحثة : زهراء بدر عبيد الطائي
جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة

حامد إسماعيل الهيتي واحد من القصاصين العراقيين الذين خصّوا القضية الاجتماعية بقصص كثيرة، فهو كل وقت ينتمي بإحساس مرهف إلى زمنه الذي فرضته عليه الأيام بكل ما تحتويه من مآسٍ، فترّجمه على مساحاته النصية على شكل قصص قصيرة مضيفا إليه لمساته الإبداعية، فاتّسم القص القصير عنده بالواقعية، فهو يلتقط جوهر قصصه من واقع مدينة الحلة ، ويضيف عليه ما يعتمر في خياله من تأثير، ويحاول ترتيب الواقع المصور والمخلوق في سرده بحيث يثير القارئ ويولّد الانطباع الذي يهدف إليه في نفسيته من خلال مفردات معجمه اللغوي الذي يضم دلالات (الوطن، الحرب والسلام، الفقر والحصار، الحالة النفسية، الطفولة، الحب والزواج ، الخمرة، الموت والحياة ، وقضية فلسطين)، ولذا اتسعت دائرة السرد بتعرّضها لهذه المضامين الاجتماعية المتعددة عند تناوله لشرائح إنسانية مختلفة.

الكلمات الدالة: المضامين الواقعية، السرد الموضوعي، النسق الدائري ، الاسترجاع ، الاستشراف.

Abstract

Hamid Ismail Al-Hiti is one of the Iraqi storytellers who singled out the social issue with many stories, as he each belongs in a delicate sense to his time imposed on him by days with all the tragedies they contain, so he translated him into his textual areas in the form of short stories, adding to him his creative touches, so the short story was marked in him Realistically, he captures the essence of his stories from the

reality of the city of Hilla, and adds to it the

influence he w ears on his imagination.

He tries to arrange the pictorial and created reality in his narration so that it excites the reader and creates the impression that he aims at in his psyche through the vocabulary of his linguistic dictionary that includes connotations (homeland, war and peace, poverty and siege, psychological state, childhood, love and marriage, wine, death and life, and the Palestine

issue) Therefore, the narrative circle expanded by exposing it to these multiple social implications when dealing with different segments of humanity.

Key words: realistic contents, objective narration, circular format, retrieval, foresight.

(1)

استهلال

شهدت مدة الستينيات من القرن الماضي ظهور العديد من القاصين الذين تمكنوا من تأسيس نتاجات قصصية تعتمد على الثقافة والاطلاع، مستفيدين من تجارب ممن سبقوهم في هذا المضمار.

كان (حامد إسماعيل الهيتي) واحداً من القاصين الذين تميّزوا بإبداعاتهم القصصية التي تكشف الواقع العراقي وتمنح القارئ فرصة معايشة معاني الظلم والفقر واللاعدالة بوصفها مشاكل عراقية صميمة، ولذلك جاءت قصصه كجنس أدبي نثري قادرة على التعبير عن أوضاع الإنسان في المجتمع الحليّ بشكل خاص.[1] ولا نغالي إذا قلنا أن مدة الستينات أنتجت نماذج جيدة ومستوعبة لحركة الواقع تلائم فيه وعي البطل مع وعي المرحلة بحيث لم تخرج طموحات البطل عما يمكن تحقيقه في المجتمع ، هناك نوع من التوازن الواعي" [2]

إنّ الهيتي يعي تماما إدراك ما هو حيّ في الواقع ، وفي مختلف الظروف التي مرّت على العراق، فيستلُّ تلك الأحداث التي تمثل تلك المرحلة، ويقوم بتشذيبها وإعادة صياغتها الفنية ؛ ليجعلها أكثر تماهيا مع الواقع سواء المحلي أم الوطني. فهو لا يتعامل مع الحدث الواقعي المنقول من الحياة اليومية على ما هو كائن، وكما هو وُلدّ، بل يُجري عليه نوعا من التحويل من واقعيته المباشرة إلى واقعية إبداعية متجددة ذات طابع فنيّ له مدلولات تثير انفعالات المُتلقي، ويكون موضع استحسان وتقبُّل، فهو يبتعد عن حرفية المنقول من الواقع.

(2)

مضامين الاتجاه الواقعي

نحاول أن نبين الاتجاه الواقعي الذي ورد في قصص (حامد الهيتي) والذي ظهر من خلال هذه المضامين والحقول الواردة، والتي تشمل أبرز دلالاتها في هذا البحث:

أولا- المضامين الوطنية :

لمّا كان الأدب بمختلف فنونه هو نتاج الشعوب فهو يمثل حياة الإنسان، وما يلاقيه من خير أو شر، فأخذ يصور الواقع الاجتماعي منتقيا شخصياته من الحياة بحيث أصبحت بعض الشخصيات نماذج للواقع المعُاش، "بأنّ الأدب

بمختلف أنواعه هو أدب للحياة – بخلاف من قال بعكسه – يعكس صور المجتمع، ويعمل في المجتمعات نحو الأحسن ، فالتفكير بالآخرين غاية الأديب فهو يريد به أن ينال إعجابَهم، ويؤثّر فيهم ويجتذبهم نحو الأمام، ويسير بهم نحو الأحسن بطريق جميل عن طريق اللغة التي تحمل التجربة".[٣] ولذلك فإنّ الخطابات الأدبية لا يمكن أن تولد بعيداً عن التحولات في علاقات الإنسان ، سواءٌ أكانت سياسية أم اجتماعية، والتي تحدث في محيطه الإنساني، " لم ينشأ الخطاب الأدبي – يوما– بمعزل عن التحولات السياسية والتغيرات الاجتماعية التي يعجُّ بها الواقع. فقد ظل الأدب رهيناً لهذه التحولات والتغيرات رفيقاً وفياً لها، يلازمها، فتنعكس فيه تبعاتها وآثارها من خلال تشكُّلِه بأطر نصّية متنوعة (شعر، رواية) تمتلك قدرة الاستيعاب والتمثل لما هو خارجي ، وجعْله جزءاً منها مُتّصفا بصفاتها حاملا مزاياها ودلالاتها الإيجابية".[٤]

إن الوطنية عند الهيتي ، هي شعور وانتماء لهذه الأرض، إذ يُعد حب الوطن والدفاع عنه، مطلباً أساسيّاً، وواجباً وشعورا إنسانياً فطريا، " حامد الهيتي كتب قصصه متأثرا بالواقع الذي يعيشه في مدينته بابل مستلهما من الحارات الشعبية والأزقة والشخصيات الفقيرة والبسيطة وكان يقتنص النماذج الملفتة بسلوكها وتصرفاتها ويوظفها فيما يكتب ليخلق منها رموزا بجانبيها الإيجابي والسلبي ويجعل من كل أنموذج عبرة للجيل والأجيال القادمة فهو كاتب واقعي محلي ومن هنا ينتقل إلى وطنيته .

يُلزم الهيتي الإنسان أن يقدّم دمه دفاعاً عن المقدسات ، ويذود عن العِرض والمال بما جادت يداه، ويجد أنّ الرَّضاعة ضريبة إنسانية تدعو المرء أن يدافع بها عن هذه الأرض، فهو في منظوره أنّ المرأة هي الأرض والأرض هي المرأة ، وكأنّ المراضع تُحرّم على من يتقاعس عن الدفاع عن وطنه يقول: " ينزّ في العُتمة بين إغماضه عينيه صوت الرَّضاعة، فيجيء نداء أمه لاهثا مُمتزجا بالخوف والرَّعشات المرّة، أهكذا أنت يا ولدي؟. يرد على النداء بلُهاث جامح. ماذا يا أماه؟ أهكذا أنت متردد إلى هذا الحد.. لا والله .. الحد.. لا والله .. لا وحقّكِ ،أين أنتَ إذن من هذه الأجساد العراقية اليافعة التي سقطت بنيران أعدائها ساكنةً هامدة لا حراك فيها؟." [٥]لا تنقطع الرغبةُ عند الهيتي في الدفاع عن حياض الوطن حسبُ ، بل يريد أن يراه متقدما يأخذ مرتبة بين شعوب الأرض ، يرى أرضه معطاءً تجود بالغلاة على أهلها وخصوصا في مجموعته الأولى (أرض من الياسمين)(١٩٧١– ١٩٧٩م)، أن يحلُم بأنّ في العراق كوادرَ هندسية وزراعية قادرة بعقولها، وإرادتها وعزيمتها أن تُنجز ثورة صناعية وزراعية تفتح طريقا للمستقبل الواعد من أجل الأجيال المقبلة، فهو ينظر نظرة مستقبلية للناس عامة، أن يعمَّ الخير في كل ربوع الوطن وما ذلك بعزيز ! . فهو يشير إلى الرُّقي والتطور العمراني في كافة المجالات بنهر متدفق يحمل خيراً لكل المدن العراقية، فعلى لسان شخصية" سعيد":

" ماء النهر هذا اليوم متدفق وسريع الجريان على غير العادة. قلت: وماذا في ذلك؟

–لا شيء ..

– لقد راودتني الآن أمنية رائعة .وهي؟

– أن يحملني هذا النهر بعيدا صوب مدن أخرى أكثر سعة وجمالا وبهجة .

– ها قد عُدتَ رومانسيا من جديد

– إنّها أحلام ليس إلاّ..."."[٦]

وتلك غاية من الغايات التي أشار إليها الهيتي ، ولو لم تتحقق في أرض الواقع فهي أمنيات وأضغاثُ أحلام تدعو الإنسان ثانية لمراجعة ثقافة التسلط الدكتاتوري، وسرقة الجَمَل بما حمَل! ، فهو ينظر إلى المستقبل بكل مسؤولية ويعي طريق كل من صنعوا لشعوبهم سُبلاً للنهضة والتطور والرُّقي .

كان رمز المرأة للوطن حضوراً ملموساً له في قصصه ؛ فجاءت المرأة –مُتمثلة في الأم أو الحبيبة أو الزوجة – رمزاً للأرض لما تتمتع به المرأة من قدرة على حمل بذور الإيحاء، ورمز العطاء والحنان والخصوبة والتضحية ، فقد جاءت (سلمى) وهي الحبيبة رمزاً للأرض التي يعشقها أبناؤها ويتعلقون بها ويدافعون عنها ، دلالة على التحام الإنسان بالأرض وتوحّده معها، يقول:" سأبقى أحبّها.. سأبقى أحبّ س ..ل... م... ى... وأتذكّر حينما كنتُ صغيرا ضمّتني أمي بشوق الوحدة اليانعة ؛لأنني أحببتُ عيونا أحسست بأنَّ بريقها يشيخ ويهرم .. أتحسس خدي حين ترنُّ اللحظة في أذني صاخبة.. عنيفة **ذراع** مفوض الشرطة وهي تمتد أمام الآخرين سطوته كان عليَ أن أُمزّق كلَّ الأكف التي تمتد دائما؛ لتصفعَ دونما سبب، أو خَجل ، ولكن حتى أنتِ يا سلمى ... ؟".[٧]

فهو يرمز للوطن بالحبيبة (سلمى) التي يعشَقُها حد الموت، ويتحمل عنَت السلطة الاستبدادية وتصرفات أزلامها المتمثلة بتصرف (مفوض الشرطة) الذي يتجاوز على حريات المواطنين دون وازع خوف، أو خجل، فبطلُ قصته يتحمل بنفس صابرة كل هذه التصرفات في سبيل هذه الأرض التي ولِد، وترعرع عليها، " ذلك الذي كنت أواصل الانحدار فيه إلى النقطة التي أسمعُ من خلالها صرير الشرارة ونقاوة الصهيل . الوشاح يخنقني .. هذه الأشيجة التي تربطني بماضٍ يأبى الزوال، وأنا تحته قديس صغير يتمرد... يجوع... يعرى.. يتصعلك.. يهرم ويذوب حين يجتاح غريزته الفشل".[٨]

إنَّ في رمز المرأة للوطن رمزاً مألوفا ومتداولا في نتاجات الكثير من الكتاب والشعراء، ففي مّعرِض حديث د. علي إبراهيم محمد عن رمزية المرأة الدالة على الوطن في شعر (رشدي العامل)، يأتي كلامه مُحلّلا لهذه الرمزية المتداولة بقوله: " ولذا جعل من المرأة رمزا للأرض، والوطن والمدن ، وكل شيء جميل يوحي ببهاء أخّاذ، ويعطي ديمومة الحياة حتى إنّه حاول أن يرمز لها بالمرأة المثالية لا الخائنة ".[٩] ولكن لهذا الرمز إشعاعٌ و إيحاءات كثيرة عند الهيتي فهو رمز توليدي تلد منه صور متعددة بالإضافة للوطن بالمعنى العام، فهو له معانٍ و له دلالات خفية، إذ يرمز للخصوبة وللطفولة والأمان، " من خلال المرأة والرمز حيث تولد منها صور رمزية متعددة مثل الأمومة أو الزوجة واقترانها بالخصوبة والطفل، والميلاد، ثم تولدت صور رمزية من خلال مفردات اللغة التي يستعملها كل كاتب"[١٠]

ثانيا – مضامين الحرب والسلام والأمان

لم تعدِ الحروب يوما وسيلةً للتفاهم الحضاري، حينما يتخذ رئيس ما، أو حاكم قرارَه في إعلانِها ، فهي تحمل في طيّاتها دماراً كبيراً، ولها تداعيات تهدد الكَيان الإنساني في الحاضر والمستقبل، تهدد وجوده ومصيره، وتترك أثرا نفسيا وماديا على الأجيال القادمة، وما كانت الحرب العراقية–الإيرانية، والحروب التي تلتها إلا كما وصِفت... في مساراتها المتعددة والمدمرة ، " فعدوانية الحرب قبيحة، لا تعرف الحُلْم والجَمال، ولا تتوقف عندهما احتراماً أو تهيّباً،

وهكذا تتفجر عليهما ناراً ورمالاً وموتا".[١١]

شهدت سنوات الحرب الماضية تنوعاً في أساليب وفنون المعالجة، وخيارات الموضوعات والمضامين، واحتمالات الصراع والتصادم، وآفاق رسم الشخصيات،" في ضوء الواقع الذي حتّم تغييراً حاداً في طرائق التفكير والمنهج والسلوك داخل الذهن الإبداعي نفسه".[١٢]

فلذلك جاءت إشارات الحرب عند الهيتي ملبية لحاجة الوضع الذي يعيشه العراق وأبناؤه. هذه الإشارات كثيرة في قصص الهيتي، فقد استعمل بعض الصيغ التعبيرية والرموز الجزئية في ثنايا قصصه دلالةً على خسارة الكثير من الأرواح والأنفس ، فالحرب تنتج القتيل الذي فَقد حياته، والجريح الذي أصيب بجروح بسببها، والمُشرّد الذي فقدَ وطنه وبيته، والمفقود الذي لا يُعرف عنه أي أخبار أو معلومات، والمُهاجر الذي توسّد حقيبته عند سفره؛ لكي يبحث عن السّلام والأمان في بلد غير بلده ووطنه، واللاجئ الذي يطلب اللجوء لبلد يوفّر له الأمن.

وبهذه الحروب، هو الآخر اكتوى الهيتي بنارها، وعاش لوعتها، ورأى بأم عينيه شباباً يتساقطون في جبهات القتال وفي المناطق الآمنة جراء القصف الجوي لطائرات التحالف الثلاثيني ،إذ سقطت قذيفة طائشة من طائرة أميركية على بيوت محلته في منطقة (**الهيتاوين**)، هذه البيوت الشعبية القديمة الذي كان بيته من ضمنها، فراح ضحيتها أكثر (٤٠) شخصا، في(١٩٩١ م)، وهذا ما تداوله من عاش تلك المدة.

هذه الوقائع لا بد أن يشير لها في نصوصه الأدبية، فهو يرمز للحرب بالسماء المُلبَّدة بالغيوم، والقمر المختفي ذو الشعاع المخبأ والعتمة الداكنة : ((القمر في السماء المتلبدة بالغيوم يختفي تماما وسط غيمة سوداء في حين غطت المكان فجأة عتمة رمادية داكنة، جاء صوت آمر الكتيبة في الجهاز المعدني الأخضر حاداً فيه خشونة واضحة: تيقظوا جيداً... لاستقبال التعليمات الجديدة)). [١٣]

وكان يصف مؤججي الحروب وصُناعها بأبطال فلم سينمائي، ولا بد أن ينالوا مصيرهم الأسود لما اقترفوه بحق الإنسانية، " قفز إلى ذهني سؤال مباغت يقول: ما هو المصير الحقيقي الذي سينتهي إليه بطل هذا الفلم المُشوّق".[١٤]

وأشار للأسرى بحمامة مكسورة الجناح: " على الأرض كانت حمامة تنط من مكانها باتجاهات عديدة متباينة مُحاوِلة الطيران.. ولكن جناحها مكسور يحول دون ذلك ".[١٥]ويستعمل الهيتي الرمز الأسطوري المُنقذ في تضاعيف قصصه رمزا للتفكير بالخلاص بعدما تفاقم وضع العراق من جراء الحروب وأصبحت الحرب العراقية/ الإيرانية من الحروب المنسية طيلة ثماني سنين، فهو ينظر إلى من يُخلّص الشعب العراقي من هذه المحنة، فيوظف أسطورة علاء الدين والمصباح، بعدما يتشاور السندباد وهو رمز حضارة بغداد للعصور السالفة مع علاء الدين؛ لإنقاذ العراق المتمثل بكافة مدنه من هذه الحرب المنسية، إذ كان يعلّق آمالا على الحركات الوطنية التي تبحث في الداخل والخارج عن بصيص من النور؛ للخروج من هذا النفق المُظلم ، فيقول :" قال سندباد لصديقه علاء الدين : يجب أن نُخلّص هذه المدينة من العملاق الضخم الذي يخرج من البحر كل يوم ليدمّر بعضا من بيوتنا الآمنة ".[١٦] فهذه الرمزية تدلل على إطالة الحرب وأصبحت حلولها من الأمور العسيرة...

وتطرق الهيتي لحرب الخليج والقصف بالقنابل المشعة ويسميها (موت اليورانيوم) والتي لم يتوانَ الغزو الأميركي أن يوزعها على مدن العراق، ونعَت العدوان الأميركي بـ الحضارة الهجينة و بـ القتَلة ، " وهاهم القتلة ورثة الحضارة الهجينة قد جاءوا مثلما يجيئون كل يوم بطائراتهم اللعينة لينثروا علينا موتا لا يرحم اسمه اليورانيوم".[١٧]

فهو يشير في سرده لإصابة فتاة لا تتجاوز الثلاثين من عمرها بمرض السرطان من جراء قذائف اليورانيوم، وتتمنى هذه الفتاة أن ترى هذه الأورام تتبدد من جسدها، فهي تُحدّق في جسَدها من خلال هذه الأورام المنتشرة في ساقها، والتوجع الدائم والمستمر، وتعيش حياة شُبه انعزالية متشحة بالسواد ، وأرعبُ ما في هذا المرض نزيفُها الذي لا تنقطع دماؤه.

ورسم بصورة مؤلمة توابيت الشهداء التي تنتظر ذويها أمام الأبواب الخارجية من دُورهم ملفوفة (بألوان العلم العراقي) إذ اعتادت السلطة– آنذاك– أن تقدم جثامين الشهداء إلى ذويها مع وجبة الإفطار الصباحية، أو مع حلول المساء ليستقبلوا هماً جديداً مضافا لهمومهم الأخرى، فهذه (**أ م علي**) تسمع طرَقَات خفيفة على الباب الخارجية، " تقدمت بخطوات متباطئة نحو الباب وعندما فتحته كانت ألوان العلم العراقي أمام عينيها" ولم تتمالك هذه المرأة سوى رعشة غامضة في جسدها تلجُ ذاتها وترجُّ كيانها بقوة. ولم يغب عن باله تصوير الجرحى ، وهم يغرقون بدمائهم أثر المعارك، وكان عند ذكر الدم يسميه بالسائل اللزج ، وبالسائل الأحمر، فيصف حالة إسعاف أحد الجرحى، بقوله:((ويبدأ بربط فخذه الغَرِق في السائل اللزج الدافئ بكفين مرتعشتين ذات أصابع حذِرة ".[١٨] ويشير في قصصه لضحايا الحرب من المدنيين بالذبائح الملطخة بالدماء، إذ يصف مشهدا لأطفال ونساء وشيوخ سقطوا نتيجة الحرب، في قرية صغيرة جنوب العراق تحاط بيوتها بالقصب من كل جانب ،((تداعت إلى الأرض بجانب البيوت وحافات البردي بعض الأجساد العراقية وهي تتخبط كالذبائح مُضرّجة باللون الأحمر القاني)).[١٩]

كما تُعاودُ ذكرى أطفال الصغار حديثي الولادة الجنودَ في مواضع القتال،((ابتسم بفخر وقال : سأفتقدك هناك.. وستبقى عيناه السوداوان أملي الوحيد بالبقاء في هذه الحياة البهية.. السخية المعطاء)).[٢٠]

مما يُميّز القص– النصوص المدروسة– عند الهيتي في موضوعات الحرب، وتسجيل يومياتها ، كانت تجري بالصور الحية المتحركة التي أكسبت النص واقعية وصدقا، فهو يصور شخوصه ، وهم يجتازون المسافات نحو مواقعهم القتالية، ويصورهم وهم ينتقلون بين خنادق النار، وهم يتعرضون للقصف المدفعي، ويُرجع الاطمئنانُ سلامتَهم عندما تنتهي الهجمات، فكلّها صور متحركة وحيّة عن يوميات حرب مفروضة.

كما أنّه لم ينسَ من خلال تصويره لهذه الحركة في جبهات القتال، ذلك المرور الزمني في أذهان هؤلاء الجنود الذي يُولِّد قلقاً تتقاطع فيه الذكرى بين مآسي الحرب وما ينتظرهم من أطفال وعوائل على أطراف المدن التي تدعوهم للحفاظ على سلامتهم ، فهم في صراع بين الموت والحياة.((تنتفض الآن في كل الأشياء والصور التي لم تستطع الأيام أن تمحو عن ذاتي ملامحها الحبيبة، شريط من الذكريات الرائعة تسحبني إلى أحبتي ويضعني بين أيديهم وأمام أعينهم وحواسهم...)).[٢١]

من خلال هذا التصوير المتحرك في سرده أضفى الشجاعة على شخصية المقاتل. الشجاعة المتمثلة بقيمُ الرجولة ،والمُثل

العليا، والدفاع عن العِرض والحرَث والنّسل ضد هذه الهجمة العدوانية فكانوا يعتبرون هذه الحرب دفاعا عن المرأة إذ المرأة هي الوطن والكرامة،((في اليوم التالي صعد الجميع إلى هضْبة ترابية، وأثناء القصف الذي كان شديداً وعنيفا بين جنودنا وبين فلول العدو كان الكل يرقصون فرحا ويطلقون مع أصوات القذائف والقنابل أغاني المسرّة وأهازيج الأمل العذب الجسور...)).[٢٢]

وما أن نقرأ مضامين السلام، فكان الهيتي من دعاة السلام والأمن؛ ولذلك كان يرمز إلى السلام "بالطائر الأبيض " الذي يُحلّق في هذه السماء الرحبة، ويمقت الحروب، بقوله: ((عندما أطلقت طائري الأبيض الجميل في الفضاء الواسع كانت كل الصفائح المعدنية المنتشرة هنا وهناك على أرضية سطح بيتنا الكبير تعكس وهَج الشمس وترسُل لمَعانا برّاقا)).[٢٣]

وفي موضع آخر يظهر حرصه على الأمن والسلام رافعاً يداً بيضاء؛ لتقوية أُطرهِ وقواعدِه من خلال كتاباته، ((فجأة فكرت، وقلت بصوت مكتوم مكتظ بالمَسرّة ، سأقتني في المستقبل طيوراً ملونة ، وجميلة أخرى. حملقتُ من جديد في الطائر وفي الماء الذي كان يترجرج بحركات متماوجة صفقتُ بسرور، وقلت للطائر الأبيض: سأشبعك من هذا الرز، وسأجعل منك طيراً سمينا وكبيرا بحجم القفص)).[٢٤]

ويجعل من إجازة المقاتل وعودته إلى بيته سالما فتحا جديداً، وباباً للأمن والاستقرار، ((إنّها تعني بالنسبة لي فاتحة زمن جديد، سأحاول أن أعيش أيامه وسعادته، ومحتوياته بكل حرارة وثبات وإيمان راسخ بالمستقبل)).[٢٥]

ثالثا– مضامين الحصار على العراق

وفي هذه المدة من مسيرة الهيتي القصصية، لا يألو جُهداً في منحها قِسطا من كتاباته توثّق بشاعة المرحلة التي مرت على العراقيين، وتكاد تكون موتا بطيئا لكثير من الأُسر المسحوقة، فهو يعتني بتقديم شخوصه في فترة الحصار ضمن الإطار الاجتماعي، ويهتم بتقديم الضروري من التفاصيل والجزئيات اليومية لقتامة الحصار المُخيّم على كل عائلة عراقية.

ولا يتوانى أن يصف الجوانب النفسية الداخلية لأب صاحب أطفال رُضّع ، أو أم تعاني الجوع القاتل الذي لا يُمكّنها من توفير الحليب في صدرها؛ لإطعام أطفالها، فيصف الحصار (بالحقير) الذي لا يرحم،

((كل ما حصل عليه من سوداوية قاتلة بقيت تتراقص أمام عينه وهو لا يني ينظر إلى عائلته التي أنْهكها وأذلها (الجوع) جوع حقير لا يرحم .. أينما يطلُّ بوجهه ، يلقَ الأمور هي.. هي لا تبدّل ولا تغيير في نظامها الآسر... المُهين)).[٢٦]

كان الهيتي دقيق الملاحظة في تصوير الأسواق المحلية وما يُباع فيها من مستلزمات الأطفال وخاصة مادة الحليب ، فيصفها بدقائق تفاصيلها ؛ لأن الإنسانية عنده تحتّم احترام الطفولة ،وكيف لا .. وهم أحباب الله، ((لقد أسرعتُ في الحضور إلى هذا المكان المزدحم بالناس والألوان والأشياء وبكل ما تشتيه النفس.. تُرى من أين أدفع ثمن الحليب، والطفلة تبكي...؟)).[٢٧]

يشير لامرأة مُرضِع لا تمتلك قوتها اليومي، وبالتالي لا تستطيع سد رمق ابنتها الرضيعة، وتوفير علبة حليب لتنقذها من الوحش المُهدد بالموت ،((كل ما في الأمر... أنّها حاولت مع ابنتها الرضيعة إعادة تركيب الأشياء والحقائق وأمور الحياة،

ولكن كيفما اتفق.. كل ما في الأمر... إنّها شعرت بأنّها غير قادرة على إرضاع طفلتها الباكية أبداً بعد أن أصبحت كل الأشياء بالنسبة إليها لا تفيد معياراً لقياس قيمة الإنسان)). [٢٨]

وشبّه علبة حليب الأطفال (بالنواة)؛ لكونها عزيزة في أيام الحصار، ((فهُنا .. وفي هذا السوق حيث يوجد كل شيء .. وحيث لا تزال هناك **نواة** في مكان قريب منها يدلّها على نبض قلب طفلتها المستمر، ستجد ما تبحث عنه هو ذا الحليب أمامها.. أمام ناظريها... هنا الحليب موجود في علبه الصغيرة والكبيرة وهي لا تمتلك حتى ديناراً واحداً يكفي لشراء علبة واحدة)). [٢٩]

ويتوغل في مفاصل الحياة اليومية للباعة، وخاصة الباعة الذين يعرضون في محلاتهم علب حليب الأطفال،((ازداد صُراخ الطفلة.. فانتابها الغثيان .. هي تعلم أنّ هذه الرقعة الخشبية الصغيرة التي تنتصب فوقها عُلب الحليب ستمدّها بالقوة والثبات ... كانت تنظر إلى المعروضات مثل كلب صغير جائع)). [٣٠] ولم يقتصر حديثه عن الأطفال وما يعانون من شحة الحليب في الحصار ، بل يتجاوز في ذلك هذه الفئة العُمرية ؛ ليطال حديثه الفئات العمرية الأخرى، فيسجّل يوميات فتاة في مقتبل عمرها تعيل عائلة بعد موت أبيها، تبحث عن خبز لإطعام إخوتها في حصارٍ لا يرحم كالموج الهائج يجرف ما يقابله ((بعد موت أبيها بسنوات ... أصبحت هي المعيلة والمسؤولة الأولى والأخيرة عن إطعام عائلتها التي " تنغط" أبداً بطلب الخبز ... وها هو الحصار يذوي معها ويجرفها نحو أيام آتية .. لا ترحم...)). [٣١]

وحاول توصيف هذا الجوع الذي خيّم على بلد الرافدين، فوصفه " بـ الكافر وبـ الأسود ،وبـ اللعين، والزمن المحكوم عليه بالإخفاق" : ((هو الجوع ... الكافر .. الأسود .. اللعين.. هو الزمن المحكوم عليه بالإخفاق والبحث اللا مُجدي عن كل الحلول الناجعة)). [٣٢]

ولم يغب عنه أثر الحصار البائن على وجوه العراقيين الناتج عن مرارة العيش؛ لقلة مدخول الفرد العراقي، فيصفه (بدمامل الجوع)، ((وإذن ليغادر وساوس الطفولة في رأسه.. ولكن أين يعطي وجهه؟ الى من يسلّم وجهه؟ وجهه الدميم الطافح بدمامل الجوع ... لغطٌ... ضجيج... لغطٌ.... ضجيج في كل مكان... ضجيج أطفاله الجوعى)). [٣٣]

بالرغم من مرارة الجوع الظاهرة على الملامح الخارجية لشخوصه، فهو يجعل الأمل لا يفارق تفكيرهم ، ولابد أن يُفك أسار العراق، وإسقاط هذه الحواجز الاقتصادية بالعبور الى الرصيف الآخر، فقد جاء ذلك على لسان امرأة مُرضع :((نظرتْ إلى طفلتها التي كانت ترضع بحرارة.. وفكرت هي بأن المشاكل كلها ستزول وتفقد أهميتها بعد أن تخطو وتتحرك باتجاه الرصيف الآخر)). [٣٤]

رابعا– مضامين الحالة النفسية للفرد العراقي:

أدرك الهيتي من خلال كتابته القصصية حجم الضرر النفسي الذي أصاب المجتمع العراقي نتيجة الحروب والفقر، والعوز، مما دعا إلى التحلُّل في القيم والتقاليد وانفلات القانون، وترمُّل النساء بعد فقدان أزواجهن، والبيوت بعد غياب رُعاتِها ، مما يوقع بعض النسوة في المحظور ، فهذه فتاة قروية تصاب بحالة نفسية لِما وقع عليها من حيف

اجتماعي لوقوعها في المحظور، فيرمز لحالتها النفسية والخوف الذي يهددها بالموت بـ (صوت الرياح) الذي تسمعه ، فيقول: ((هي متعبة .. وأصوات الريح والنخل والسماء حولها تصدي في رأسها الذي كان يطلق طنينا غير مسموع.. ولكنه كان طنينا قاسياً غير رحيم)). [٣٥]

وأشار للمُخلفات النفسية لقصف القذائف المشعة باليورانيوم بـ (قدوم خريف لا تنتهي أيامه) على حالة هذه الفتاة المصابة بالسرطان،((وهنا إذ استمع الآن إلى غناء الحشرات الحزين .. فأشعرُ بأنّ

هذا الغناء يُنبئ بقدوم خريف لا تنتهي أيامه... بل إنني أشعر أنّ هذا الغناء الحزين قد أصبح وبمشيئة طفلة لم تتجاوز الثلاثين بعدُ هو ملاذي الأول .. والأخير)).[٣٦]

وأشار لفتاة أصابها الكُساح في وقت مبكر، ولم تحصل على علاج لتجاوز مرضها، وما تحمل من أسئلة غامضة وغريبة، ((نظرتِ الفتاة الكسيحة إلى الجميع بعينين ممتلئتين بالدهشة والاستغراب والتساؤلات الغامضة التي بقيت تبحث في داخلها عن جواب شافٍ ومُقنع لحرارتها)).[٣٧] فقد عرَض حالتها النفسية حين نظرت للمرآة المُهشّمة الخاصة بها، بقوله: ((حملقت في المرآة المُهشمة التي تناثرت أجزاؤها فوق الأرض على شكل قطع زجاجية صغيرة ، قالت لنفسها : يا لمرآتي المسكينة... إنها كل ما تبقّى لي من ذكريات حلوة في هذا البيت الآمن .. الطيب القلب)).[٣٨]

فهي تنظر لحياتها كشيء زجاجي وقع على الأرض، فتناثرت أجزاؤه، فلا مستقبلَ لها في الدراسة، وفي العمل، وفي الزواج، وهي لا تختلف عن أيّة حاجة من أثاث البيت المركونة ،((فلم يكن بمقدورها أن تفعل أي شيء عندما امتدت نحوها أيادٍ بشرية كثيرة وحملتها كيفما اتفق لتضعها مع الأثاث المكدسة فوق العربة)).[٣٩]

ويصف حالات اليأس بالسراب الصحراوي، فيأتي على لسان إحدى شخصياته في قصته (الفجوة) مُثقلةً باليأس والضجر وعدم تحقيق الأماني، ((لست أدري وحقك .. هل لأنني رأيتُ أنّ كل ما يبنيه الإنسان في هذه الدنيا يسقط متهدما حطاما لا حياة فيه ، أم لأنني وجدت نفسي أركض يائسةً وأعدو وراء سراب صحراوي كاذب لا نفعَ من الركض وراءه)). [٤٠]

ومما يدعو القول إنّ كل الأقاصيص التي تحمل جانبا نفسيا هي تجارب شخصية مرت على أناس كانوا بقرب الكاتب، وبالمحيط نفسه الذي يتعايشان فيه هو والشخصية ، فهو (ابن الحلّة) وما مرّ عليهم مرّ عليه من عوز وفقر وحروب، ((إنّ هذا النوع من القصص تكون رؤيته أحيانا أعمق ؛لأنه والشخصية يعيشان في مجموعة الشعور بوعي أكثر ويكونان نتيجة ذلك على معرفةٍ كاملة بحقائق التجربة ودقائقها، الا أنّ مجرد الاقتصار على التجربة الشخصية لا تكفي لإقامة حياة نفسية غنية منوّعة واسعة، وإنّما على الفنان أن يتحول بها إلى تجربة ذاتية تضع الإنسان مكان الفرد وتهتم بالعام بدلاً من الخاص)). [٤١]

ويمكن القول في هذا الجانب، تمكّن الهيتي في بسط الأعراض المرضية النفسية للكثير من شخصياته وهو لأدرى بنفوس شخصياته؛ لكونه مُعايشهم فعلاً، وهم أبناء مدينته.

خامسا–مضامين التربية والطفولة لم

ينسَ الهيتي أهمية التربية والتعليم في تنشئة الجيل الجديد من الأطفال، وما بالك كان حامد معلماً للفن التشكيلي، "شهدت سنوات الحرب الماضية تنوعاً في أساليب وفنون المعالجة، وخيارات الموضوعات والمضامين، واحتمالات

الصراع والتصادم، وآفاق رسم الشخصيات بعدما أدرك الكاتب العراقي في الداخل خطورة هذه الحرب على الأجيال في ضوء الواقع الذي حتّم تغييرا حاداً في طريقة التفكير والمنهج.)).[٤٢]

فالطفولة في نظره، شجرة نقاء وارفة الظلال، وأغصان عفوية تحمل ثمار العقول، ويبدو في كتاباته عن الواقع التربوي في العراق من خلال ما أشار الهيتي إليه، وكأنه يسير بخطى حثيثة نحو الجمود والركود دون تغيير، فأبنية المدارس لا تسع للطلبة الجدد، وهذه الشوارع غير مبلطة ، يصعب وصول الطلبة أثناء الأمطار إلى مدارسهم ، ففي قصة (**الخيبة**) يُظهر الجمود والتخلف والإهمال، ((وعندما قال المعلم : ضعوا الأقلام كان هو ينظر من رحلته إلى "**حسن**" الذي دخل الصف خَلسة، وعلى وجهه الصغير نتفات من الخوف والمطر ، كانت ملابسه مغطاة إلى المنتصف بالوحل تلفّتت العيون صوب "حسن " الصغير)) [٤٣]

وأدانَ عسكرة المجتمع واستعمال المدارس كمعسكرات وثكنات عسكرية – بصورة غير مباشرة – مما طال القصف هذه المدارس وراح الطلبة ضحية التصرفات غير المدروسة ، فهو يصف طالبة أفاقت من صدمة القصف الجوي لمدرستها،((فجأة أفاقت .. وجدت أنّ كل شيء حولها في غرفة الدرس قد استحال نارا وغبارا ودما ودخانا... السبورة .. التلاميذ... الشبابيك .. المُعلمة .. الجدران .. الرحلات.. الكتب.. جدول الدروس .. سمعت أصوات تتأوه وأخرى تُحشّرج)).[٤٤]

إنّ هذا النص القصصي يؤشر إلى المرارة والخيبة بالواقع التربوي، وقد كان شديد الوطأة على ذوي الطلبة، إذ لم تَسْلَم المدارس، ورياض الأطفال، وملاعبهم من القصف الهَمجي ، فهو يصور أطفالا أصيبوا نتيجة القصف المدفعي، وتأخر نجدتهم، وإنقاذهم؛ لتردي الخدمات الطبية، وتعذُّر وصول سيارات الإسعاف لنقلهم للمستشفيات القريبة ومعالجتهم ، وقد تكررت هذه الصور كثيراً في أقاصيص المرحلة.

عمل حامد كل ما يستطيع من خلال قصصه القصيرة وطبيعة شخصيته أن يرعى الطفولة ويحيطها بكل ما يمتلك من عاطفة، وهذا يتمثل من خلال هذه المقاطع ، فيصف الطفولة بالنبتة :

((قال له ابنه (رفعت) وهو يحمل بين يديه دورقا ممتلئا إلى حافته بالماء :

دعني أسقِ هذه النبتة الصغيرة ، يا أبي .

– حسنٌ يا رفعتُ، ولكن بِحَذر، كان ينظر إلى ولده الذي يداه الصغيرتان تسكُبان الماء على أديم أرض الحديقة الجاف بعينين مزهوتين بالحب والحنان والرغبة المتأججة في تقبيل جبينه الابيض.. وحين أتم عمله قال:– والان ما رأيك يا أبي؟

–عظيم.

– قال، وهو يحط الدورق الفارغ على الأرض

–سأستمر في سقيها إلى أن تنمو، وتصبح كبيرة مثلي. –

ولكن هذا الأمر يحتاج صبر وأناة)). [٤٥]

فهو ينظر إلى الطفولة كنمو النبات إذ تبدأ الأوراق والفروع ، والأزهار بالظهور بشكلٍ تدريجي، وتنتهي هذه النباتات بإنتاج الثمار من خلال أزهارها كما أنّ هذه الطفولة لصيقة بقراها ومسقط رأسها وأحلامها المستقبلية ((إنّه يذكرني بنهر قريتنا الذي كان الماء فيه، ولم يزل ، وسيبقى جاريا أبداً، ابتسم هو، ونظر إلى ماء النهر الذي كان يسير بين الضفتين بشكل رائق)).[٤٦]

ويرمز للمولود الجديد في ثنايا قصصه بالفرح العظيم : ((يشعر بأنّ الأرض تحت قدميه تميد به يساراً ويمينا هو الفرح العظيم إذن، يقول ذلك في نفسه، حين كان يطاوع ذاته التي بقيت ، تلحُّ عليه أن يطبع على جبينها – زوجته– الساخن قبلة حنوناً حلوة)).[٤٧]

ويصف تربية لأطفال والسهر عليهم بالصراخ اللذيذ، ((أيها الصُراخ اللذيذ الذي يحتاج الى كل الوداعة والعذوبة والتصلُّب المُر ... أنا هنا أتصاعد مع الفرح الذي سيقدم مع اللحظة التي ستعانق فيها شمس هذه الحياة المتدفقة بالنور والحب والعطاء الخالد)).[٤٨]

سادسا–مضامين الحب والزواج

ينظر لعلاقة المتحابين في قصصه علاقة صدق وشرف، يكنُّ لها الاحترام ، فهو يؤمن بالحب الصادق فيصف علاقة المتحابين بعالم مثالي تتسدل الشمس بخيوطها الذهبية على وجوه العشيقين ، وتحيط بهم الأشجار الخُضر الندية، وهما يستغرقان في حلم يقظتهما، فيعبر عن ذلك بلسان الراوي العليم بدواخل شخصياته،((نظرتْ إلى الشمس.. ثم إلى الأشجار الخضراءِ التي كانت تمرق أمام عينيها .. ثم إلى الأرض التي حوّلت ظلها المخروطي إلى هيكل قصير)).[٤٩]

ويرى العلاقة العاطفية الصادقة توحي بسّرٍ كبير مفتاحه الزواج ،((ترى ماذا لو حدثّتُها عن السر الكبير، ماذا لو حدثتُ (سلمى) عما يجيش في معترك نفسي.. سأحدّثها عن ذلك حتى لو ضاعتْ في طريقي كلَّ الخيوط والأسلاك)).[٥٠] ويتحدث في قصة أخرى (مغاليق) عن أمنيات فتاة شابة تحلم ان تكون لها علاقة حب بشاب صادق تنتهي علاقتهما بالزواج، ولكن لم يتحقق حلُمها، ولم يأت الخاطب الذي تتمناه ، بل تقدّم لها رجل يكبُرها في السّن؛ مما تبددت تلك الأماني، وأصبحت تشبه الدُّخان المُتبدد، ((كان دخان العاطفة يتبدد فيها آنذاك ، كان دخانا متباطئا يتبدد في شمسها هي، كان دخاناً لا يُشبه الدخان العادي، يتسرب منها باتجاه شيء غير محسوس غير طبيعي، اسمه الحب)).[٥١] ويومئ لقداسة الحب بالمحراب الذي يقف فيه القديس((وأنا تحته قديس صغير يتمرد... يجوع... يعرى .. يتصعلك)).[٥٢]

سابعا–مضامين الخمرة:

وإذا كانت الخمرة تعبّر عن ترف أو تُجسّد جزءاً من المسامرة في التراث العربي، فقد كانت الخمرة في قصص الهيتي استفتاحا واستهلالا للحزن والألم ،الذي يحيط به، ويمكن تلخيص فلسفته في "مضمون الخمرة وتعاطيها "،هي عنده نوع من فلسفة الوجود الإنساني، فهو يريد ان يكون غائبا عن الوجود الإنساني– في حالة صحوة– كما تعيشه البشر، وحاضراً بينهم عندما يكون ثَمِلا ، فحالة الغياب مرتكز فلسفته على ألسنة شخصياته، وهو يفصح دائما في منجزه الروائي عن سبب تعاطيه الخمرة لغرض الغياب الروحي: ((أقفُ لحظات قُبالة باحة الدار مزهوّاً بنفسي وبحالة الغياب التي لا أن

يستطيع يدانيني فيها أحد)).[٥٣]

كما وردت هذه الفلسفة العَبثية. على لسان شخصيته المحورية في قصة (خطوات) وأحسب أحداث هذه القصة هي سيرة ذاتية لتفاصيل حياته اليومية من خلال دراسة شخصية الهيتي النفسية ، إذ يقول:

((هاتفٌ من الداخلِ صرخَ فيه بصوت مبحوح..

كان للصوت صدى واضح وعنيف..

قال الصوت : يا أنت.

قال هو: نعم ..

– لماذا أنت هكذا؟

أجاب بِحَيْرة: وكيف تريدني أن أكون؟ صرخ الصوت المبحوح فيه، ولكن من دون جدوى هذه المرة..

– أريدك أن تكون كما عهدْتك .. غائبا عن الوجود أبداً حاضرا في الغياب الذي يجب أن يطول زمنه.

– ومن الذي سيحقق لي هذه الأمنية؟ همس الصوت المبحوح:

– الخمرة)).[٥٤]

. فهو يجد في البارات وحانات الخمرة المكان الأمين والمكان الذي يثير فيه الطمأنينة بخلاف الآخرين "فكاردينيا" حانة لبيع الخمور في شارع أبي نواس / بغداد، هكذا يشير في روايته (قبل ذلك)غير المطبوعة، ((ها هي كاردينيا ...تندهني بصوت هامس .. رائق.. تعال.. تعال.. وادخل ... ففي كنَفي الأمان ، وبين أحضاني يكمن شيء اسمه "الطمأنينة تعال .. وادخل.. ودخلت)) .[٥٥]

فهو يعيش حياة دون جدوى، حياة عبثية، ويرمز لحياته بمنضدة خمر عليها الأقداح متناثرة بدون انتظام، ((هنا ... وهناك على المنضدة الصغيرة ، كان بعض القناني الفارغة والأقداح موزعة بغير انتظام)).[٥٦] وهذا يشي أنّ الخمرة عنده ليست للمسامرة بقدر ما هي رمز للغِياب من الحياة ثم الرجوع إليها ثمِلاَ ((الغِياب ... الغِياب ... أجل هذا ما أريده بالضبط ولكن كيف .. كيف...)).[٥٧]

ترددت رموز كثيرة للخمرة في قصص الهيتي فهو يرمز لها بالسائل الأبيض ، والشيء الخُرافي، الزجاجي الشفاف، والكأس الممتلئة بالسائل، إذ يقول:((ولكنه في تلك اللحظة يرتشف من السائل الأبيض
بشراهة وبشكل دفعها إلى أن تزيح كل أفكارها عن رأسها دفعة واحدة)).[٥٨]

ثامنا– مضامين الحياة والموت:

كانت الحياة لدى الهيتي حياة عابثة، شغل نفسه عنها بتعاطي الخمرة ،أمّا ظاهرة الموت ، فهي ظاهرة حتمية متكررة معتادة لديه ، إذ إنّها من بديهيات العقل الإنساني، ولعل استئثار الهيتي بمضامين هذه الظاهرة إنّما كان يتضمن إدراكا باطنيا لهذه الخاتمة؛ لذا راح يعرض لها في قصصه القصيرة كغيره من أصحاب الفنون الأخرى .اتخذ الموت دلالات كثيرة في قصصه، فكان يطلق عليه تعبير "الوداع، والسفر"، و"الرحيل بهدوء العينين.

ففي قصته (مغاليق) يتحدث القاص عن حياة فتاة اسمها (أميرة) التي وافت المنية والدها إثر حادث مروري فيشير لوفاته بالوداع ، وإيكال تبعات الحياة لمن يخلفه، ومقابلة مصاعب الحياة وجهاً لوجه:((أليست هي غير تلك الطفلة التي سموها (أميرة) والتي ودّعت قبل سنوات أباها أثر حادث سيارة مؤسف)). [٥٩] فهو لا يصرّح بالموت بلفظته الدالة عليه مباشرة ، ولم يشر لحوادث الموت كالدهس بصريح اللفظ، بل رمَز له بالوداع.

وفي قصة (الوشيجة) يشير للموت بالسَّفر الأبدي و بالرحيل، يقول: ((ها هي عين" ملا فاضل" المنطفئة تحدثني بأن محل الحياكة البسيط هذا أخذ مصراعاه ينفتحان على بيادر النكبات – رحيل أبي– ... سفر أمي الأبدي إلى الله ...)) [٦٠]
فهو يرمز لفقدان هؤلاء الموتى بالسفر الأبدي الذي لا رجعةَ فيه، ويترك الانتظار في محطة السفر لغيره. وقد أشار للموت بهدوء العينين، ((يلتفت مرة أخرى إلى صديقه فيكتشف أنَّ عينيه أصبحتا هادئتين تماما.. تحط نظراته أخيراً على صورة طفلته الممزقة والمهشمة على أرضية الربيئة ، يرى خيطا من الدم يسيل من عينيها وينحدر باتجاه الفم مخترقا أنفها الأشقر .. الصغير)). [٦١]

فيرى في الموت استسلام النفس البشرية لمقاديرها ومثوى ؛ ليخلّص الأنسان من ضجيج الحياة.

تاسعا– مضامين قضية فلسطين

في ظل المناخ العام المقاوم للاحتلال الصهيوني ، عمَد الكثير من كتاب القصة العرب إلى تصوير ما يحدث في الأرض المحتلة، وقد ركّزت القصص على مقاومة المحتل، وتشكيل منظمات فدائية دفاعا عن هذه الارض المقدسة، وكان الهيتي من بين هؤلاء القاصين، إذ لجأ في كتاباته للدفاع عن أرض فلسطين والدعوة لتشكيل منظمات فدائية، ((وجاء لِينظمَّ إلى جبهتنا العتيدة بكل ما يمتلك من حرارة الايمان بقضيتنا الكبرى فلسطين)). [٦٢]
ولم يغفل ثورة الحجارة فقد خصص لها قصة (علاقة) يتحدث فيها عن أطفال الحجارة ودفاعهم عن أراضيهم المغتصبة ، يقول: ((يختلط الشارع بالناس والحجارة والنار، والأطفال والدخان .. يبحث بعينيه الصغيرتين عن الطفل ذي الكوفية الحمراء لم يجده. يبحث مرة أخرى بين الضجيج والدم والأصوات اللاهبة عن الطفل لم يجده .. يتعرف عليه جيدا ويتأكد أنه هو بعينيه الخضراوين وكوفيته الحمراء)). [٦٣]

فهو في هذا المقطع السردي يتحدث عن مشاركة طفل فلسطيني اسمه (**كرار**) يشترك مع أقرانه من الأطفال الفلسطينيين في الدفاع عن أرضه.

وفي قصة (**الزورق**) يتحدث عن استشهاد طفل اسمه (سمير) في يوم عيد ميلاده بطلقات من قناص معادٍ إذ تستقر ثلاث طلقات في ظهره، ((أراد أن يدفع جسده إلى أمام ليعاود ركضه مرة أخرى ولكن ثلاث حفر حمراء صغيرة استقرت في ظهره وجد نفسه على الأرض.. حاول أن يفتح عينيه .. لم يستطع .. وكانت الأرض أسفله سوداء .. كالحة)). [٦٤] ففي منظوره القصصي أنّ الكتابة القصصية في أدب القضية الفلسطينية سلاح مقاوم، وليس مجرد عرض صور، واستذكار تأريخي، ولذا نجد هذه القضية لم تغب عن باله منذ مجموعته الأولى، وتبقى متجددة في مجموعة (**الإرث**) وهي آخر مجاميعه، وأحسبُ أنه يريد من هذا القص ينسج حلماً بعودة اللاجئين إلى ديارهم، ورحيل الظلم والاستبداد، ويكتب واقع إنساني جديد للفلسطينيين طال انتظاره، وهم يبحثون عن وطن.

الخاتمة

يلتقط حامد جوهر قصصه من واقع مدينة الحلة ، ويضيف عليه ما يعتمر في خياله من تأثير، ويحاول ترتيب الواقع المصور والمخلوق في سرده بحيث يثير القارئ ويولّد الانطباع الذي يهدف إليه في نفسيته من خلال مفردات مُعجمِه اللغوي الذي يضم دلالات (الوطن، الحرب والسلام، الفقر والحصار، الحالة النفسية، الطفولة، الحب والزواج، الخمر، الموت والحياة، وقضية فلسطين)، ولذا اتسعت دائرة السرد بتعرّضها لهذه المضامين الاجتماعية المتعددة عند تناوله لشرائح إنسانية مختلفة.

إن طريقة بناء الحدث تُشعر المتتبع بترابط الأحداث بخيط طبيعي يجزم بالاعتقاد في أنَّنا في عالم شُبه واقعي له منطقه الخاص، وقد توزعت هذه الطريقة البنائية للحدث على أنساق أربعة : (النسق التتابعي ، والتضميني، والمتوازي، والدائري)، وقد برز النسق التضميني في بناء قصصه كثيرا. كما غلَب على خطابه السردي "السرد الموضوعي" بدرجة أساسية، وبنسبة متقدمة (٨٦%)، ثم يليه السرد المختلط بنسبة (٨%)، ثم السرد الذاتي بنسبة(٦%) .

إما بناء الزمان، فزمنه في دلالته، زمن الحروب، والحصار المفروض على أبناء شعبه، اللذان يسيران ببطيء على نفسية الإنسان الحلّي. وفي تشكيله، فقد استعمل تقنية الترتيب الزمني المتمثل بـ (الاسترجاع والاستشراف) للتذكير وملء بعض الثغرات في السرد، والكشف عما تفكّر به شخصياته مستقبلاً، واستعمل تقنية الاستغراق الزمني، إذ يميل إلى الحذف والإيجاز لتسريع السرد، ويركن إلى تقنية الإبطاء من خلال الحوارات الكثيرة والمبثوثة على مساحاته النصيّة .

وعند الحديث عن بناء المكان ، ففي دلالته يحمل معه ذكريات ذات حنين أليم، تباين بين سِمتي الانتماء و النفور، ومثّل في إطاره العام العادات والقيم الاجتماعية السائدة فيه. تحدد القص واتخذ إطارا – في الأعم الأغلب – مدينة الحلـة دون أريافها بشكل واضح، ويقوم المكان في قصصه بخدمة الحدث إذ يرتبط به ارتباطاً وثيقا، وأمكنته في الحلة : (المدرسة، البيت، المقهى، الشارع ، الرصيف، الزقاق، عيادة الطبيب، المستشفى...). وفي الحديث عن بنائية شخصياته، يغلِب عليه الميل إلى تصوير الشخوص من جانبها

النفسي، فيدخل في أغوار نفسياتهم عبر حواراته الداخلية، ويبرز هذا الجانب على قسمات وملامح الشخصية، ويجعلها تخرج عن أطوارها، فيخرج عن لسانها ضجيجا معبّراً عن مكامن اللوعة والحزن، والضحك على زمنها الطارئ، فملامح شخصياته مُهمشة تتحرك بتلقائية وبساطة، وتُعبر عن همومها الصغيرة ، فهم عاديون ذوو أحلام متواضعة، وحياتهم بسيطة يكشفون لقارئهم عن حقيقة إنسانية كانت غائبة عن المتلقي.

أمّا ظاهرة التكرار الموضوعي للقصص ، فقد أعاد نشر الكثير من قصصه بنفس عناوينها ومضامينها في مجموعاته القصصية اللاحقة أكثر من مرّة ، وقد يعمد في البعض منها إلى صياغتها بقالب كتابي آخر وعنوان جديد مع الاحتفاظ بمضمونها وضمّها لمجموعة تُنْشر بعد أعوام قادمة من نشرها الأول.

الهوامش:

[١]– ينظر: فاضل ثامر ، معالم جديدة في أدبنا المعاصر، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٥:١٥.

[٢]– ياسين النصير، القاص والواقع ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الساعة، بغداد، ١٩٧٥:٤٨.

[٣] – د. علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩:٢٩.

[٤] – د. احمد رشيد وهاب الدّدة ، السلطة في الرواية العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٣: ٤٢.

[٥] – حامد إسماعيل الهيتي، مجموعة العندليب، الطوق ، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨: ٧٦.

[٦] – حامد إسماعيل الهيتي، مجموعة أرض من الياسمين، أرض من الياسمين، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٨١:١٧.

[٧] – حامد إسماعيل الهيتي ، مجموعة مغاليق ، الوشيجة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١: ٣٧–٣٨.

[٨] – مجموعة مغاليق ، الوشيجة: ٣٨

[٩]– أ. د. علي إبراهيم محمد ، ود. راسم أحمد عبيس ،المرأة الرمز في شعر رشدي العامل، مجلة جامعة بابل ، مج ٢٣، ع٣، ٢٠١٥: ١١٥٣.

[١٠] – د. مراد عبد الرحمن مبروك، الظواهر الفنية في القصة القصيرة المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٩:١٦٦.

[١١] – د. محسن جاسم الموسوي، المرئي والمتخيل " أدب الحرب القصصي في العراق"، دار الثقافة العامة، بغداد ، ط١، ج٢، ١٩٨٧م : ١١.

[١٢]- د. محسن جاسم، م.ن: ٧.

[١٣] – حامد الهيتي ، مجموعة الخنادق، طقوس عراقية، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد،١٩٨٤: ١٩٩.

[١٤] – مجموعة الخنادق، طقوس عراقية: ٢١٦.

[١٥] – مجموعة الخنادق ،الأسير: ١٦٢.

[١٦] – مجموعة الخنادق، ، أنهار :١٣٥.

[١٧] – مجموعة مغاليق، يورانيوم :٥٤.

[١٨] - مجموعة العندليب، سماء: ٦٩ .

[١٩] - مجموعة العندليب، سماء: ٦٩ .

[٢٠] - مجموعة الخنادق، طقوس عراقية: ٢١٠ .

[٢١] - مجموعة العندليب، الطلع : ٨٤

[٢٢] – مجموعة الخنادق، كَرْنَفَال:٢٨.

[٢٣] - مجموعة الخنادق، السماوات: ١٧٠.

[٢٤] - مجموعة الخنادق، السماوات:١٧٣.

[٢٥] - المجموعة الخنادق، السماوات صدر نفسه : ٢٠٧.

[٢٦] - مجموعة مغاليق ، الإقامة في الضحك: ٥٩.

[٢٧] - ، الاسترسال في البحث:٨.

[٢٨] - مجموعة مغاليق: م . ن: ٧.

[٢٩] - مجموعة مغاليق: م.ن: ٧.

[٣٠] - مجموعة مغاليق: م.ن: ٨–٩.

[٣١] – مجموعة مغاليق، مغاليق: م.ن: :١٥.

[٣٢] – – مجموعة مغاليق ، الاسترسال في البحث، م. ن: ٨–٩

[٣٣] – مجموعة مغاليق ، الإقامة في الضحك، م. ن: ٦٠.

[٣٤] – مجموعة مغاليق ، الاسترسال في البحث، م. ن: ١٠.

[٣٥] - مجموعة أرض من الياسمين، التيار: ٥٤.

[٣٦]– مجموعة مغاليق ، يورانيوم: ٥٥.

[٣٧] – مجموعة مغاليق، العربة: ٩٧.

[٣٨] – مجموعة مغاليق، العربة، م. ن: ٩٩.

[٣٩] – مجموعة مغاليق، العربة، م. ن: ٩٩.

[٤٠] - حامد الهيتي، مجموعة تهويمات من حجر، الفجوة ، دائرة الشؤون الثقافية ، بغداد،٢٠٠٤:٨٨.

[٤١] - د. عمر محمد الطالب ، القصة القصيرة الحديثة في العراق، ، جامعة الموصل، ١٩٧٩: ٤٤٤.

[٤٢] – د. محسن جاسم الموسوي، المرئي والمتخيل، ج٢ : ٨ .

[٤٣] – د. عمر محمد الطالب ، القصة القصيرة الحديثة في العراق، ، جامعة الموصل،١٩٧٩:٤٤٤.

[٤٤] – مجموعة تهويمات من حجر، خيبة :١١٧

[٤٥] – مجموعة الخنادق، الأسير، م. ن: ١٦١.

[٤٦] – مجموعة الخنادق ، سماوات ، م.ن: ١٧٤

[٤٧] – مجموعة الخنادق، طقوس عراقية ، م.ن: ٢٠٩.

[٤٨] – مجموعة الخنادق ، أوراق مضيئة من سفر ر٠ع ياس خضير عطوي ، م.ن: ٧٦.

[٤٩] – مجموعة أرض من الياسمين،الحب ، م.ن: ٤٦.

[٥٠] – مجموعة مغاليق، الوشيجة، م.ن: ٣٦ .

[٥١] – مجموعة مغاليق، مغاليق، م.ن: ١٦.

[٥٢] – مجموعة مغاليق، الوشيجة، م . ن :٣٨.

[٥٣] – رواية قبل ذلك، (غير مطبوعة) انتهى من كتابتها في تموز عام ١٩٩٣: ٣٨.

[٥٤]– مجموعة تهويمات من حجر، خطوات : ١٠٨– ١٠٩.

[٥٥]– رواية " قبل ذلك: ٢٩ .

[٥٦]– مجموعة أرض من الياسمين ، قصة الينبوع : ٧ .

[٥٧] – مجموعة تهويمات من حجر، خطوات:١٠٧ .

[٥٨] – مجموعة أرض من الياسمين، راشد يزرع ، راشد ينهض يافعا:٧١.

[٥٩] – مجموعة مغاليق ، مغاليق: ١٣.

[٦٠] – مجموعة مغاليق، الوشيجة ، م. ن: ٣٦ .

[٦١] – مجموعة العندليب ،المَحال: ٢٦.

[٦٢] – مجموعة أرض من ياسمين ، أرض من الياسمين: ٢٦.

[٦٣] – حامد إسماعيل الهيتي ،مجموعة الإرث ،علاقة، دار الشؤون الثقافية ، بغداد،٢٠٠٨:٦٥.

[٦٤] – مجموعة الإرث، الزورق: ١١٥

قائمة المصادر والمراجع

أولا _ المصادر

– مجموعة أرض من الياسمين، دار الشؤون الثقافية ثقافية، بغداد، ١٩٨١.

– مجموعة الخنادق ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد،١٩٨٤.

– مجموعة العندليب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨.

– مجموعة مغاليق، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ٢٠٠١.

–مجموعة تهويمات من حجر، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد ، ٢٠٠٤.

– مجموعة الإرث ،علاقة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٨.

– رواية (قبل ذلك) غير مطبوعة انتهى من كتابتها عام ١٩٩٣.

ثانيا– المراجع

– د. احمد رشيد وهاب الدّدة ، السلطة في الرواية العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٣.

– د. علي إبراهيم محمد ، ود. راسم أحمد عبيس ،المرأة الرمز في شعر رشدي العامل، مجلة جامعة بابل ، مج ٢٣، ع٣، ٢٠١٥.

– د. علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩.

– د. عمر محمد الطالب ، القصة القصيرة العراقية الحديثة في العراق، جامعة الموصل،١٩٧٩.

-فاضل ثامر ، معالم جديدة في أدبنا المعاصر، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٥.

- د. محسن جاسم الموسوي، المرئي والمتخيل أدب الحرب القصصي في العراق" دراسة ومختارات "، ج٢، ١٩٨٧.

- د. مراد عبد الرحمن مبروك، الظواهر الفنية في القصة القصيرة المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٨٩.

- ياسين النصير، القاص والواقع ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الساعة، بغداد، ١٩٧٥.

- مجموعة الإرث ، الزورق : ١١٥.